الفَصْلُ الرَّابِع

جَمْعُ القُرآن

جمع القرآن في عهد النبوة:

جمعَ القرآنُ الكريم في عهدين: عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين، وقد كان لكل جمع خصائصه ومزاياه، وكلمة (جمع) تطلق أحياناً ويراد منها الحفظ والاستظهار في صدور الرجال، وتطلق تارة ويراد منها الكتابة والتسجيل في الصحائف والأوراق.. وقد كان لجمع القرآن في عصر النبوة الأمران معاً:

أولاً: الجمع في الصدور، عن طريق الحفظ والاستظهار.

ثانياً: الجمع في السطور، عن طريق الكتابة والنقش.

وسنتحدث عن كلا الجمعين بشيء من التفصيل، ليتبين لنا العناية الفائقة بالقرآن العظيم وكتابته وتدوينه، مما لم يسبق لكتاب سماوي أن نال من الرعاية والعناية والاهتمام كما ناله القرآن الكريم، كتاب الله المجيد، ومعجزة محمد الخالدة.

جمع القرآن في الصدور:

نزل القرآن الكريم على النبي الأميّ، فكانت همته منصرفة إلى حفظه واستظهاره ليحفظه كما نزل عليه، ثم يقرأه على الناس على مُكْث ليحفظوه ويستظهروه، ضرورة

obeikandl.com

أمه نبيّ أميّ بعثه الله إلى العرب الأميين[1] **﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمّيِّينَ رَسُولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكّيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ..﴾**[2] الآية. ومن شأن الأمي ـ في العادة ـ أن يعتمد على حافظته وذاكرته، لأنه لا يقرأ ولا يكتب، ولقد كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن، تتمتع بخصائص العروبة الكاملة، التي فيها قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ، وسيلان الأذهان، وكان العربي يحفظ مئات الآلاف من الأشعار ويعرف الأحساب والأنساب، فيستظهرها عن ظهر قلب، ويعرف التواريخ وقلّ أن تجد منهم من لا يعدّ لك الحسب والنسب، أو من لا يحفظ (المعلقات العشر) على كثرة أشعارها، وصعوبة حفظها!!

ثم جاءهم القرآن الكريم فبهرهم بقوة بيانه، وروعة أحكامه، وجلال سلطانه فأخذ عليهم مشاعرهم، واستحوذ على عقولهم وأفكارهم، حتى صرف هِمَمهم إلى الكتاب المجيد فيمّموا وجوههم نحوه، يحفظونه ويستظهرون آياته وسوره، وتركوا الشعر لأنهم وجدوا في القرآن روح الحياة!!

أما النبي ﷺ فقد بلغ من حرصه الشديد على حفظ القرآن أن يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة، عبادةً وتلاوة وتدبراً لمعانيه، حتى تفطّرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالاً لأمر الله العلي الكبير **﴿يا أيها المزّملُ *قم الليلَ إلاّ قليلاً* نِصفَه أو انقُصْ منهُ قليلاً * أوْ زِدْ عليْهِ ورتِّل القُرآنَ ترْتيلاً﴾**[3] لذلك فلا عجب أن يكون ﷺ سيّد الحفاظ، وأن يجمع القرآن في قلبه الشريف، ويكون مرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن العظيم[4]!

وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يتسابقون إلى تلاوة القرآن ومدارسته، ويبذلون قصارى جهدهم لاستظهاره وحفظه، ويعلّمونه أزواجهم وأولادهم في

---

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٤.

(٤) من مناهل العرفان للزرقاني بتصرف.

البيوت، حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدّجى، يسمع فيها دوياً كدَوِيّ النحل بالقرآن، حتى كان صلوات الله عليه يمر على بعض دور الأنصار، فيقف على بعضهم يستمع القرآن في ظلام الليل..

أخرج البخاري عن (أبي موسى الأشعري) ان رسول الله ﷺ قال له: «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود»..

وزاد في رواية لمسلم: فقلت: لو علمتُ والله يا رسول الله أنّك تستمع لقراءتي لحبّرتُه لك تحبيراً. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن، وإن كنتُ لم أرَ منازلهم بالنهار». رواه الشيخان.

وقد اشتهر كثير من الصحابة بحفظ القرآن الكريم، وكان الرسول ﷺ يُذكي فيهم روح العناية بحفظ القرآن، ويبعث إلى المدن والقرى من يعلمهم ويقرئهم، كما بعث - قبل الهجرة - (مصعب بن عمير) و(ابن أم مكتوم) إلى أهل المدينة، يعلّمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن، وكما بعث (معاذ بن جبل) إلى مكة للتحفيظ والتعليم بعد هجرته ﷺ.

قال (عبادة بن الصامت): (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلّمه القرآن، وكان يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا).

ومن هنا كان حفّاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ لا يحصون، ويكفي أن نعلم أن عدد الذين استشهدوا في (معركة اليمامة) يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ، كما قتل مثل هذا العدد في عهد الرسول ببئر معونة.. قال القرطبي: (قُتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد). أي: أن عدد الذين استشهدوا من الحفظة ١٤٠. ولقد كانت أشرف خصوصية لهذه الأمة المحمدية أن يكون هذا الكتاب المقدس محفوظاً في صدورها، وأن تعتمد في نقله على حفظ القلوب والصدور، لا على كتابته في المصاحف والسطور فحسب.. بخلاف أهل

الكتاب الذين لا نجد منهم من يحفظ التوراة أو الانجيل، وإنما يعتمدون في حفظها على الكتب المسطّرة، ولا يقرأونه إلا نظراً، لا عن ظهر قلب، ولهذا دخل إليهما التحريف والتبديل، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله بعنايته الإلهية، فيسّره للحفظ **﴿ولقد يسّرنا القرآنَ للذكْرِ فهلْ منْ مدّكرْ﴾** [1] وصانه من التحريف والتبديل بطريق حفظه في السطور، وحفظه في الصدور ومصداقاً لقوله تعالى **﴿إنّا نَحْنُ نزّلْنَا الذّكْرَ، وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾** [2] وهذا ـ بلا شك عناية من الله خاصة بهذا القرآن المجيد، وشرف عظيم اختص الله به هذه الأمة المحمدية حيث جعل أناجيلها في صدورها، وأنزل عليها كتاباً لا يغسله الماء ولله درّ القائل:

الله أكبـرُ إنّ ديـن محمـد وكتابهُ أقـوى وأقـوم قيـلا
لاتـذكـرُ الكتـبُ السـوالفُ عنـده طلـع الصبـاحُ فـأطفـيء القنـديلا

جمع القرآن في السطور:

وأما المزية الثانية لهذا القرآن العظيم فهو جمعه وكتابته في المصحف، فقد كان لرسول الله ﷺ كتّاب للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط، والاحتياط الشديد في كتاب الله عز وجل، حتى تظاهر الكتابةُ الحفظ، ويعاضد التسجيلُ المسطورُ، ما أودعه الله في الصدور.. وكان هؤلاء الكتّاب من خيرة الصحابة اختارهم رسول الله ﷺ من المجيدين المتقنين، ليتولوا هذه المهمة العظيمة.. وقد اشتهر منهم (زيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، والخلفاء الراشدون) وغيرهم من الصحابة الأجلاّء رضوان الله عليهم أجمعين.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قيل

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

لأنس : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي) وهؤلاء هم مشاهير كتّاب الوحي وإلاّ فهناك من الصحابة الجمع الكبير الذين كانوا يكتبون القرآن، وكثير منهم كان له مصحف خاص كتب فيه ما سمعه أو حفظه من رسول الله ﷺ لمصحف ابن مسعود، ومصحف عليّ، ومصحف عائشة وغيرهم.

طريقة الكتابة :

وأما طريقة الكتابة فقد كانوا يكتبون القرآن على العُسُب [1]، واللّخاف [2] والرّقاع [3]، وعظام الأكتاف وغيرها، ذلك لأنه صنع الورق لم يكن مشتهراً عند العرب، وقد كان عند بعض الأمم الآخرين كالفرس والروم، ولكنّه كذلك كان نادراً فلم يكن منتشراً، فكان العرب يكتبون على ما يقع تحت أيديهم مما يصلح للكتابة، روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع) أي نجمعه وكان هذا التأليف عبارة عن (ترتيب الآيات) حسب إرشاد النبي ﷺ وبأمر من الله تبارك وتعالى ولهذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن (توقيفي) يعني أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصحف إنما هو بأمرٍ ووحيٍ من الله، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالآية أو الآيات على النبي فيقول له: يا محمد إنّ الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا، وكذلك كان الرسول يقول للصحابة: ضعوها في موضع كذا.

جمع القرآن في عهد أبي بكر :

انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار الله، بعد أن أدّى الرسالة، وبلّغ الأمانة، ونصح الأمة، وهدى الناس إلى دين الله القويم، وتولّى الخلافة بعده (أبو الصديق) رضي الله عنه وأرضاه، وقد واجهته ـ في خلافته ـ خطوب جسيمة، وشدائد عظيمة، ومشاكل

(١) العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض.
(٢) اللخاف : جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقيقة.
(٣) الرقاع : جمع رقعة. وهي قد تكون من جلد أو ورق أو غيرها من أدوات الكتابة.

صعاب، منها حروب الردّة التي وقعت بين المسلمين، وبين أتباع (مسيلمة الكذّاب) وكانت معركة (اليمامة) معركة حامية الوطيس، وقد استشهد فيها كثير من قرّاء الصحابة، ومن حفظه القرآن يزيد عددهم على (٧٠) سبعين من كبار الحفّاظ، وقد هال ذلك المسلمين، وعزّ الأمر على (عمر) فدخل على (أبي بكر) فوجده في حزن وألم، فأشار عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفّاظ، فتردّد (أبو بكر) أوّل الأمر، ثم رأى أن يأخذ بإشارة (عمر) بعد أن تبيّن له وجه المصلحة، وشرح الله صدره لذلك العمل الجليل، فأرسل إلى (زيد بن ثابت) وعرض عليه الأمر، وطلب منه أن يقوم بجمع القرآن في مصحفٍ واحد، ولكنّ (زيداً) تردّد في بادىء الأمر، ثم شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.. وقد روى البخاري في صحيحه قصة هذا الجمع ننقلها بنصّها لأهميتها.

رواية البخاري.

عن (زيد بن ثابت) رضي الله عنه أنه قال:

(أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة (أي عقب استشهاد الحفّاظ السبعين في معركة اليمامة) فإذا عمر جالسٌ عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال: (إن القتل قد استحرّ (أي كثر واشتدّ) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستمرّ القتل بالقرّاء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت: وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال: عمر رضي الله عنه: هو والله خيرٌ، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله تعالى صدري للذي شرح الله له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى.. قال زيد: فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل، لا نتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن وأجمعه.. قال زيد: فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به.. فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.. فتتبّعت القرآن أجمعه من اللّخاف، والعُسُب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة

مع (أبي خزيمة الأنصاري) لم أجدها عند أحدٍ غيره ﴿لقدْ جاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكُمْ..﴾ إلى ﴿وَهوَ ربّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾[1] أي: إلى آخر السورة.. فكانت الصحف عند (أبي بكر) حتى توفاه الله تعالى، ثم عند (عمر) حتى توفاه الله تعالى، ثم عند (حفصه بنت عمر) رضي الله عنهم أجمعين. فهذه الرواية دلّت على (سبب جمع القرآن). «رواه البخاري».

تساؤلات حول جمع القرآن:

وهنا أسئلة ينبغي الإجابة عليها بشيء من التفصيل ونحن نوجزها فيما يلي:

أولاً: لماذا تردّد (أبو بكر) عن جمع القرآن مع أنه شيء حسن وأمر يوجبه الاسلام؟

والجواب عن ذلك: أن (أبا بكر) رضي الله عنه خشي أن يتساهل الناس في استظهار القرآن وحفظه غيباً ويعتمدوا على وجوده في المصاحف فتضعف نفوسهم عن الحفظ، وتصبح رغبتهم ضعيفه في حفظه واستظهاره اعتماداً على أنه مسطّر وموجود في مصاحف مطبوعة يمكنهم قراءة القرآن بها، أما قبل أن توجد المصاحف فقد كان الجميع يسعون جهدهم لحفظ القرآن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن أبا بكر الصديق كان رجلاً وقافاً عند حدود الشرع، مقتفياً لآثار الرسول ﷺ فقد خشي أن يكون بعمله هذا مبتدعاً شيئاً لا يحبه رسول الله، ولهذا قال لعمر: (كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله)؟ ولعله كان يخاف أن يسوقه الإنساء والاختراع إلى الوقوع في المخالفة والابتداع. ولكنّه لما رأى الأمر خطيراً والفكرة ـ في حد ذاتها ـ وسيلة من أعظم الوسائل لحفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف، وأيقن أنها ليست من الأمور الخارجة ولا من البدع المستحدثة عزم على جمع القرآن، وظلّ يقنع زيداً بذلك حتى شرح الله صدره فقام بتنفيذ ذلك الأمر الخطير والله اعلم.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٨ ـ ١٢٩.

obeikandl.com

ثانياً: لماذا اختار أبو بكر (زيد بن ثابت) من بين الصحابة الكرام لهذا العمل الجليل؟

والجواب عن ذلك: أن زيداً رضي الله عنه قد اجتمع فيه من المواهب العظيمة التي تؤهله لجمع القران ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفّاظ القرآن، ومن كتّاب الوحي لرسول الله، وشهد (العَرْضة الأخيرة) للقرآن في ختام حياته ﷺ.. وكان فوق ذلك معروفاً بشدة ورعه، وعِظَم أمانته، وكمال خُلُقه، واستقامة دينه، وكان معروفاً بالنبوغ والذكاء، وهذا ما أشار إليه كلام أبي بكر في رواية البخاري حين استدعاه وقال له: (إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله)..

فلهذه الخصال والمزايا الحميدة اختاره أبو بكر الصديق لجمع القرآن.. ومما يدلّ على شدة وَرَع زيد بن ثابت أنه قال: (فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ مما أمرني به) الحديث.

ثالثاً: ما هو المقصود من قول زيد في رواية البخاري (حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة لم أجدها عند غيره)؟.

والجواب عن ذلك: أن زيداً رضي الله عنه لم يجد هذه الآيات مكتوبةً عند أحدٍ من الصحابة إلاّ عند أبي خزيمة الأنصاري، وليس المراد أنها لم تكن محفوظة، إذ أن زيداً نفسه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع بين (الحفظ والكتابة) كما سنبينه إن شاء الله زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط، وعلى ذلك النهج الرشيد تمّ جمع القرآن.

الخطة الرشيدة في جمع القرآن:

وقد انتهج (زيد بن ثابت) في جمع القرآن خطةً رشيدة في غاية الدقّة والإحكام، فيها ضمان لحياطة هذا الكتاب المجيد، بما يليق به من تثبت بالغ، وحذرٍ دقيق، فلم يكتف بما حفظ في قلبه ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبع ويستقصي آخذاً على نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين اثنين:

أ ـ ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

ب ـ ما كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ.

فلا بدّ أن يتضافر الأمران (الحفظ والكتابة) وبلغ من شدة حرصه واحتياطه أنه كان لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ. يدل عليه الحديث الذي رواه (أبو داود) في سننه قال: (قدم عمر فقال: من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسب وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شاهدان). ويدل عليه كذلك ما رواه أبو داود أيضاً أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر، ولزيد: (اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه). قال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ، والكتابة.. وقال السخاوي المراد (أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ) وذلك غاية في التثبت والدقة والإحكام من الصدّيق رسمه منهجاً لزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

مزايا مصحف أبي بكر الصديق:

امتازت الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق في (مصحف واحد) بعدة زايا أهمها:

أولاً: التحرّي الدقيق التام، والتثبّت الكامل.

ثانياً: لم يسجّل في المصحف إلا ما ثبت عدم نسخ تلاوته.

ثالثاً: إجماع الأمة عليه، وتواتر ما سجّل فيه من الآيات القرآنية.

رابعاً: شمول المصحف للقراءات السبع التي نقلت بالنقل الثابت الصحيح.

وهذه المزايا جعلت الصحابة يلهجون بالثناء العاطر على أبي بكر الصديق حيث القرآن الكريم من الضياع، وذلك بتوفيق من الله عز وجل ومدد من عنده، وقد قال (عليّ بن أبي طالب) كرّم الله وجهه: (أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله). ولقد أصبح جمع القرآن منقبةً

خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل والثناء العاطر لأبي بكر في التوجيه والإشراف، ولزيد بن ثابت في التنفيذ والعمل رضوان الله عليهم أجمعين. وجمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر لا يعني أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن لديهم مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، فإن ذلك لا ينافي أن يكون لبعض الصحابة مصحف خاص، ولكن هذه المصاحف لم تظفر بما ظفر به مصحف أبي بكر من دقة البحث والتحري، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، ومن بلوغه حدّ التواتر، ومن اجماع الأمة عليه، ومن شموله للأحرف السبعة (القراءاتّ السبع) كما تقدّم. فهذا (علي) رضي الله عنه كأن له مصحف خاص كتبه في بدء خلافة أبي بكر، وعزم ألاّ يخرج إلا للصلاة حتى ينتهي من كتابته...

روى السيوطي عن (محمد بن سيرين) عن (عكرمة) أنه قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر، قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك. فأرسل إليه فقال: أكرهتَ بيعتي؟ فقال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه فحدّثت نفسي ألاّ ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، قال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت[1] فقد كان له مصحف ولكنه كما يروى عن ابن سيرين كان فيه الناسخ والمنسوخ فلم يكن مثل مصحف أبي بكر.

لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد؟

ونتساءل هنا: لماذا لم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد في زمن النبي ﷺ؟ والجواب عن ذلك:

أولا: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة وإنما نَزَل مفرّقاً، ولا يمكن جمعه قبل أن يتكامل النزول.

ثانياً: إنّ بعض الآيات كانت تنسخ، وإذا كان القرآن عرُضةً للنسخ فكيف يمكن أن تجمع في مصحف واحد.

---

(١) أنظر: كتاب الاتقان للسيوطي.

ثالثاً: إن ترتيب الآيات والسّور لم يكن على حساب النزول فقد تنزل بعض الآيات في أواخر الوحي بينما يكون ترتيبها في أوائل السور الكريمة وهذا يقتضي تغيير المكتوب.

رابعاً: كانت المدّة بين نزول آخر ما نزل وبين وفاته ﷺ قصيرة جداً، وقد تقدّم في الفصل الأول أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿**واتّقُوا يَوْماً تُرْجَعونَ فيه إلى الله..**﴾[1] الآية. وقد انتقل رسول الله إلى جوار ربه بعد نزولها بتسع ليال، فالمدة إذاً قصيرة، ولا يمكن جمعه قبل تكامل النزول.

خامساً: لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر، فقد كان المسلمون بخير، والقرّاء كثيرون، والفتنة مأمونة، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر من مقتل الحفّاظ حتى خاف على ضياع القرآن.

والخلاصة: إن القرآن لو جمع في مصحف واحد والحال على ما ذكرنا لكان القرآن عرضة للتغيير والتبديل كلما وقع نسخ، أو حدث سبب، مع أن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة. والظروف لا تساعد على ترك المصحف القديم، والأعتماد على المصحف الجديد، لأنه لا يمكن أن يكون في كل شهر أو يوم مصحف يجمع كل ما نزل من القرآن ولكنْ لما استقرّ الأمر بختام التنزيل، ووفاة الرسول، وأَمِنَ النسخ، وعرف الترتيب أمكن جمعه في مصحف واحد، وهذا ما فعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجزاه عن القرآن والمسلمين خير الجزاء.

جمع القرآن في عهد عثمان.

أما جمع القرآن في عهد عثمان فقد كان له سبب آخر غير السبب الذي حدث في عهد أبي بكر. فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان، وتفرّق المسلمون في الأقطار والأمصار، واشتهر في كل بلدان من البلاد الإسلامية قراءة الصحابي الذي علّمهم القرآن، فأهل الشام كانوا يقرأون بقراءة (أُبَيّ بن كعب) واهل الكوفة كانوا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

يقرأون بقراءة (عبد الله بن مسعود) وغيرهم كان يقرأ بقراءة (أبي موسى الأشعري)، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءات، حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق، بينهم، وكاد بعضهم يكفّر بعضاً بسبب (اختلاف القراءة).

روي عن أبي قلابة أنه قال: (لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلّم (المقرىء) يعلّم قراءة الرجل، والمعلّم يعلّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع إلى المعلّمين، حتى كفّر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى (أي بعد) عني من الأمصار فهم أشدّ اختلافاً). لهذه الأسباب والأحداث رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الخرق قبل أن يتّسع على الراقع، وأن يستأصل الداء قبل أن يصعب الدواء، فجمع أعلام الصحابة، ورجال الرأي والبصر فيهم، واستشارهم في علاج تلك الفتنة، وعلاج ذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على أن يستنسخ أمير المؤمنين مصاحف عديدة، ويبعث إلى كل بلد أو مصر بمصحف منها، وأن يأمر الناس بإحراق كل ما عداها، حتى لا يبقى ثمة طريق للنزاع والاختلاف في وجوه القراءة، فشرع ـ رضي الله عنه ـ بتنفيذ هذا القرار الحكيم، فعهد إلى أربعة من خيرة الصحابة، وثقات الحفّاظ وهم (زيد بن ثابت) و (عبد الله بن الزبير) و (سعيد بن العاص) و (عبد الرحمن بن هشام) وقد كانوا جميعاً من قريش من المهاجرين إلا (زيد بن ثابت) فقد كان من الأنصار، وكان هذا العمل الجليل سنة ٢٤ هجرية، وقال لهؤلاء إذا اختلفتم في شيء من وجوه القراءة فاكتبوه بلغة قريش، فإنّ القرآن نزل بلغتهم. وطلب عثمان من (حفصه بنت عمر) أن تعطيه المصحف الذي كان عندها، والذي جمعه أبو بكر لينسخ منه عدة نسخ ثم يعيده إليها، ففعلت.

سبب جمع عثمان للقرآن الكريم:

روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال::

(أن (حذيفة بن اليمان) قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافهُم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصه وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1]، رواه البخاري.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: ونستطيع مما سبق أن نعرف الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، وهو أن الجمع في عهد أبي بكر كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف واحد مرتب الآيات، جمعه اللخاف والعُسُب والرِّقاع، وكان سبب الجمع (موت الحفّاظ)، وأما جمع عثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر لترسل إلى الآفاق الإسلامية. وكان سبب الجمع إنما هو (اختلاف القرّاء) في قراءة القرآن، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، باب جمع القرآن.

obeikandi.com